مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.
المجلد:06./ العـدد01 جوان(2022)، ص247/254

# تجلّيات الحمار الوحشي في الشعر العربي القديم
## دراسة تحليلية نقدية

# The manifestations of the zebra in ancient Arabic poetry; critical analysis study

ساته نجيم
sattanad@gmail.com
جامعة محمّد خيضر بسكرة
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2021/06/21 تاريخ القبول: 2021/08/22 تاريخ النشر: 2022/06/02

**ملخص:**
ظلّ الحمار الوحشي في الشعر العربي القديم يُسابق الزمن أملا في الظّفر بلذّة الحياة كما اشتهاها، فكان مَطمحا شعريا مُتعاليا، وهذا ما جعل الشعراء يلهثون خلفه دون الظفر بفصل خطابه.
وعليه يروم البحث إزاحة الستار عن صورة الحمار الوحشي، واستثمار مخاضاتها الدّلالية والفنّية في الشعر العربي القديم، كما طرح البحث عدة إشكالات نوجز منها: هل تمخض الحمار الوحشي في الشعر العربي القديم عن زخم دلالي وفنّي مُتفرد؟، ترى لماذا حرص الشاعر العربي القديم على توظيف رمز الحمار الوحشي؟، فهذه الإشكالات سيتم تطارحها وفق المنهج الوصفي القائم على آليات التحليل والاستقراء، وقد توصل البحث إلى جملة نتائج نذكر منها: تُمثل رمزية الحمار الوحشي في الشعر العربي القديم ظاهرةً فنيّةً متفردةً وغامضةً في الآن نفسه كون المصادر الأدبية والأسطورية التي تطرقت إلى حيثيات قصته واستلهاماته الشعرية لم تُنضِح عن منابته الأسطورية.
**كلمات مفتاحية:** الشعر الجاهلي؛ الحمار الوحشي؛ أحقب؛ الجَوْنُ؛ الشمس؛ الماء؛ المخاضات الجمالية.

***Abstract:***
*The zebra in ancient Arabic poetry kept racing against time in the hope of winning the pleasure of life as it desired it.*
*Accordingly, the research aims to unveil the image of the zebra, and to invest its semantic and artistic controversies in ancient Arabic poetry. The symbol of the zebra? These problems will be raised according to the descriptive approach based on the mechanisms of analysis and induction. The research reached a number of results, including: The symbolism of the zebra in ancient Arabic poetry represents a unique and mysterious artistic phenomenon at the same time, since the literary and mythological sources that dealt with the merits of his story and poetic inspirations did not emerge from his legendary origin.*
***Keywords:*** **:** *Pre-Islamic Poetry ; zebra; white; the sun; water; Aesthetic labors.*

## 1. مقدمة

استلهمت المصادر الأدبية القديمة رمزية الحيوان باعتباره إحداثيةً مُعينةً خارج المنحنى الفيزيقي للطبيعة والمُستطلع للشعر العربي القديم يلحظ مدى الهيام الذي كنّه الشعراء للحيوان وذلك نظير ارتباطه بالطقوس المقدسة، فكثيرا ما

خلّص الحيوان الإنسان من ورطة الخطر، وكان خيرَ أنيس له في ترحاله وتجواله، في سرائه وضرائه؛ ومن جنس الحيوان نستلّ الحمار الوحشي، فقد لقي حفاوة شعرية تفوق المتخيل والرّمز معا.

ولعلّ ذلك راجع إلى تعلّق الحمار الوحشي بالحياة الهادئة حيث لا ضرر ولا ضرار فعُدّ رمز الإقبال على الحياة، فهو يظهر مع الشمس الحاملة للضياء الكوني والحالمة بإرادة القوة، حيث تنحصر الطبيعة ويسدل الليل.

إنّ مناجاة الحمار الوحشي لألفة الحياة الهنيئة/ الخصبة جعلت منه مَطمحا شعريا ظلّ الشعراء يلهثون خلفه دون الظّفر به، كونه – أي الحمار الوحشي- يخشى الخطر ويتّقيه فارا إلى طقوس السّلام، كما أنّ ظهوره تحت أشعة الشمس السّاطعة ورفضه للوحدة شكّل ذلك جدار حماية له، فهو بخلاف الثور الوحشي الذي تمكنت منه الكلاب تحت ظلمة اللّيل الحالك.

تُعدّ رمزية الحمار الوحشي إذًا تعبيرا عن صراع الوجود المتعلّق بدورة الحياة، النّهار ≠الليل / الحياة ≠ الفناء/ الخصب ≠ الجدب؛ فتماهي الحمار الوحشي مع الشمس جعل منه مدارا حركيا يُصرّ على الحياة في عزّ دينامية الزمن القاهر.

إنّ قدرة الحمار الوحشي على الاستمرار والمحافظة على كيانه في ظلّ صراع الوجود يقتضي منّا كشف الستار عن هذه الشخصية المحورية التي شكلت بؤرا شعرية دون مواربة؟.

وعليه يسعى البحث إلى استثمار التّوظيفات الشّعرية والمخاضات الجمالية لرمزية الحمار الوحشي في الشعر العربي القديم وفق المنهج الوصفي القائم على آليات التّحليل والاستقراء، كما تضمن البحث عدّة إشكالات نوجز منها:

ماهي حيثيات قصة الحمار الوحشي؟.

ما هو المُعوّل الشعري الذي جعل الحمار الوحشي يتميز عن الحمار الأهلي؟

ما الذي أضافه رمز الحمار الوحشي إلى الشعر العربي القديم؟، وهل احتفى هذا الأخير بالجماليات الفنّية أثناء استلهامه؟.

تُرى لماذا انقطعت العلاقة بين الشعر العربي والحمار الوحشي؟.

**2. الحمار الوحشي بين الواقع والتّغريب :**

يحمل الحمار الوحشي في تشكيله الاصطلاحي ثنائيةً ضديةً، فكيف يكون متوحشا وهو – كما رأينا سابقا- يلوذ بالأنس والسّلم، فلعلّ تَوَحش هذا النّوع من الحمار هو الذي جعله بيت القصيد في الشعر العربي القديم.

عمد الدّارس مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ إلى وضع توصيف للحمار الوحشي فقال: " حمار الوحش كان في جزيرة العرب بكثرة، وهو في أشعارهم في ذكر القنص، وكذلك في الأحاديث، وخلقته تشبه الحمار الإنسي من كون له حافر وأذنان طويلتان وبقية صفاته وليس من الأهلي فتوحش؛ بل هذا جنس مستقل فالوحش من الطيبات والأهلي من الخبائث"[1].

تبين من وقع هذا المفهوم أنّ وحشية الحمار الوحشي من الطّيبات التي جعلت منه محلّ اهتمام فهو ليس حمارا عاديا كما أورد الدّارس أحمد بن مُحَمَّد بن نافع، وهو ليس كذلك " هذا الحمار المخطط؛ وإنّما هو حمار أبيض أكبر قليلا من الحمار الأهلي، وفي نحره سواد وقد انقرض"[2].

ومن مُسميات الحمار الوحشي نذكر: " المسحل، الجأب، والأخدري والصغير تولب، (...) جأبأ (...) القارح، وذو جدة، وذو جدتين، ومكدّم، ومستقبل، والجون الرباعي، وعير، والأتان، وعيرانة"[3]، " والفراء"[4].

كاد الإجراء الإحصائي يغور أثناء عدّ المسمّيات والتّوصيفات التي لازمت الحمار الوحشي في الشعر العربي القديم، وهذا دليل على أنّ حمار الوحش لم يكن حمارا عاديا بقدر ما كان موازيا للكيان الإنسانوي فقد عهدته العرب " شديد الغيرة"[5]، ولا يخفى علينا ما لهذه الكلمة " الغيرة" من تأثير وحساسية لدى العرب كونها تتعلق بالعِرض والشرف حيث يَسرد لنا التّاريخ القديم قصص حروب دامية دامت أكثر من أربعين سنة من أجل ناقة، فكثيرا ما حرص السّياق الشعري العربي القديم على التّلازم الوثيق بين الناقة والحمار الوحشي أو بين الأتان والحمار الوحشي، بل ويجعل من حمار الوحش مقدمةً وجدارَ حمايةٍ لوصف النّاقة أو الأتان... .

هكذا يرتحل الحمار الوحشي من عالم الطبيعة إلى فضاء الشعر الذي لم يُعمر فيه طويلا، حيث تُعدّ نهاية العصر الأموي آخر عهد للشعر العربي بالحمار الوحشي، فهل ثمّة من إبداعات آنية ومستقبلية تجعل من النهاية نقطة بداية تبتغي بعث الحمار الوحشي من قراره المكين؟.

### 3. المخاض الدّلالي والفنّي للحمار الوحشي في الشعر العربي القديم:

لعلّ طابع التّغريب الذي اعترى حمار الوحشِ في يَسير التوظيفات الشعرية التي حظي بها مردّه إلى تَحَيُّف التّاريخ عليه " فلم يكشف لنا عن صورته في الدين القديم"[6]، فهذا الإضمار التّاريخي هو الذي أدى برمزية الحمار الوحشي إلى التّواري عن المجاذبات الشّعرية النّوعية، ومن التّوظيفات الشّعرية القديمة التي استقطبت الحمار الوحشي نذكر قول الشّاعر تميم بن أبي مقبل:

**وَصَاحِبِي وَهْوَةٌ مُستَوْهِلٌ زَعِلٌ * يَحُولُ بَيْنَ حِمَارِ الوَحْشِ وَالعَصْرِ**[7]

يكشف السّياق الشعري عن هوة التّاريخ التي أحدثت شرخا بين حمار الوحشِ والعصر، مما أدرى إلى انحرافٍ راديكالي يُحيل بصورة مباشرة إلى الصراع القبلي وانحصار الحياة، ذلك أنّ تغييب الحمار الوحشي هو تغييب لخطاب الحياة المثالي، فهذا التّصور يقع على خلاف لما ألفيناه لدى الشاعر عبدة بن الطبيب الذي راح يحتفي بمائية الحياة المستوحاة من المخاض الرمزي للحمار الوحشي حيث يقول:

**مُبَرَّدٌ بِمِزَاجِ المَاءِ بَيْنَهُمَا * حُبٌّ كَجَوْزِ حِمَارِ الوَحْشِ مَبْزُولُ**[8]

ويقول الشاعر: حاجب بن حبيب الأسدي:

**تَظَلُّ فِيهِ بَنَاتُ المَاءِ أَنْجِيَةً * كَأَنَّ أَعْيُنَهَا أَشْبَاهُ خَيْلاَنِ**
**فَلَمْ يَهُلْهُ وَلَكِنْ خَاضَ غَمْرَتَهُ * يَشْفِي الغَلِيلَ بِعَذْبٍ غَيْرِ مِدَّانِ**[9]

إذا كان الحمار الوحشي قد تعرض إلى الضّيم التّاريخي الذي كاد يُنهي مَعالمه فإنّه مع السّياق الشعري يكتسي حلةً فنيةً ودلاليةً أكسو فاعلية، فصورته في الشعر " تتصل اتّصالا كبيرا بالترحّل والانتقال التي تقوم بها الأحياء البدوية بين مناطق الرعي وموارد المياه"[10] التي هي مصدر الحياة ومُعوّل العيش الرغد.

لقد أدرك شعراءُ العربِ القدماء أنّ كلّ دور إذا ما تم ينقلب وهذا ما جعل صورةَ الحمار الوحشي " تختلف فيما بينها تماما ونقصا"[11]، فهي بموازاة الثائية الضدية للحياة جدب≠ خصب / حياة≠ فناء.

يقول كعب بن زهير:

**مِنْهُ تَظَلُّ حَمِيرُ الوَحْشِ ضَامِزَةً * وَلاَ تُمَشِّي بِوَادِيهِ الأَرَاجِيلُ**[12]

تعدّدت الممارسات الشعرية المُستلهمة لرمز الحمار الوحشي حيث ألفينا المرآوية تنعكس على المتون الشعرية التي تمّ تطارُحها، وهذا لا يعني بحال من الأحوال أنّ الحمار الوحشي لازمَ في الشعر العربي القديم صورةً واحدةً مجسمةً، فمن خلال التّتبع والاستقراء تبين لنا أنّ الشعر العربي القديم احتفى بجمام القرائن الدّالة على الحمار الوحشي بالقدر الذي تماهى فيه مع صورته المرآوية؛ من ذلك قول الشاعر الأعشى:

**مُضَبَرَةُ حَرْف كَأَنَّ قُتُودَهَا * تَضَمَنَّهَا مِنْ حُمْرِ بِنْبَانَ أَحْقَبُ**[13]

وكذلك في قول الشاعر الشماخ بن ضرار الذبياني:

**كَأَنِّي كَسَوْتُ الرَّحْلَ أَحْقَبَ سَهُوقًا * أَطَاعَ لَهُ فِي رَامَتَيْنِ حَدِيقُ**[14]

احتفى النّص بسميائية اللون " الأحقب" حيث يوعز هذا الأخير إلى البياض الكاشح وهو إشارة مباشرة إلى الحمار الوحشي الذي أَلِفَ العيش تحت نور الشمس وتطلُّعه الدّائم إلى السّلام " ولعل بياض الكشح من ابرز الفوارق بين الحمار الأهلي والحمار الوحشي؛ لأنّ الأهلي لا يكون أحقب حسب ما اطلعت عليه عيانا ومصورا"[15].

وفي ذلك تأكيد على حُكمنا السابق المتوخي الطيبة والسّلام والأنس في الحمار الوحشي على حساب الحمار الأهلي.

يقول الشاعر الشمردلي اليربوعي:

**كَأَنَّ قُتُودِي وَأَنْسَاعَهَا * تَضَمَنَهُنَّ وَأَيُ أَحْقَبِ**
**مَرِنٌ يُحَاذِرُ روعَاتِهِ * سَمَاحِيجُ مِثْلَ القَنَا شَزَبِ**[16]

يظلّ الحذرُ صفةً لازمةً للحمار الوحشي الذي اعتاد العيش في أمن وسلام، لذا يحرص النّص غاية الحرص على كلّ ما من شانه كسر ألفة **الأحقب** المتواري خلف السّلام أو يَهُدُّ اعتبارات الكتابة عنه، فالحمار الوحشي يظلّ يسكنه هاجس الاستقرار، ذلك أنّ ترويعه يحُطُّ من مُتعالياته النّصية، فكلّما اضطرب الحمار الوحشي اضطرب النّص الشعري بموازاته.

ومن الألوان الأخرى التي وُصف بها الحمار الوحشي الجون وهي " من ألفاظ الأضداد، فيطلق على الأبيض والأسود، قال قطرب: الجَوْنُ في اللغة قضاعة الأسود، وفي ما يليها الأبيض ... ويقال للشمس جونة"[17].

إنّ قدرة الحمار الوحشي على المصالحة والجمع بين الأضداد هي التي مكّنته من الاستمرار في الفضاء الشعري بعد انقطاعه وانقراضه من عالم الطبيعة، كذلك يوحي لون الجون الملازم للحمار الوحشي إلى الاختلاف الظاهري والباطني، وعليه فإنّ جون الشمس قد يحمل البياض والسّواد في الآن نفسه، وهو مُعوّل دال بامتياز على أنّ هدوء الحمار الوحشي وسماحته لا تعني ضعفه، فقد يتحول في لحظة لا يُؤرخها الزمن إلى حيوان أشد قوةً، خاصة إذا تعلق الأمر بأتنه.

يقول الشاعر امرؤ القيس:

**أَذَلِكَ أَمْ جُونٌ يُطَارِدُ أَتْنًا * حَمَلْنَ فَأَرْبَى حَمْلِهِنَّ دُرُوصُ**
**طَوَاهُ اِضْطِمَارُ الشَّدِ فَالبَطْنُ شَازِبٌ * مَعَالِيَ إِلَى المَتْنَيْنِ فَهُوَ خَمِيصُ**
**بِحَاجِبِهِ كَدْحٌ مِنَ الضَرْبِ جَالِبٌ * وَحَارَكَهُ مِنَ الكِدَامِ حَصِيصُ**
**كَأَنَّ سَرَاتَهُ وَجُدَةَ ظَهْرِهِ * كَتَائِبُ يَجْرِي فَوْقَهُنَّ دَلِيصُ**[18]

كلّما توغّلنا في البيئة الجاهلية غارت بنا القرائن الدّالة على حضور صورة الحمار الوحشي في المنجز الشعري، مما أفقده مقام البوح، ويرجع ذلك إلى حلول الشاعر في صورة الحمار الوحشي حتى غدا وجهين لعملة واحدة، ولعل هذا التّماهي المطلق منوط بقدرة الحمار الوحشي على تخليص الشاعر من واقعه المسكون بحرقة الضّياع والفراق المحتم، فحيث ينتهي زمن الوصال يحلّ الحمار الوحشي المرهون بدلالة الحضور بعد الغياب، العودة الإياب بعد الفراق، يقول الشاعر ربيعة بن مقزوم:

**أَلاَ صَرَمَتْ مدوَتُكَ الرَّواَعُ * وَجَدَّ البَيْنُ مِنْهَا وَالوَدَاعُ**[19]

تعلّق الشاعر الجاهلي برمزية الحمار الوحشي أملا في صدّ نوائب الدّهر والاحتراز من زمن المستقبل المجهول الذي قد يُعكّر صفو حياته، يقول الشاعر متمم بن نويرة:

**وَلَقَدْ غُبِطْتُ بِمَا أُلاَقِي حِقْبَة * وَلَقَدْ يَمُرُ عَلَيَّ يَوْمٌ أَشْنَعُ**[20]

يكشف النّص لأول وهلة عن تخوف الشاعر من زمن لم يولد بعد بالقدر الذي يحتاط به الحمار الوحشي من صوت المهيب.

أدرك الشّاعر الجاهلي بعد عميق التّدبر في الوجود أنّ الأزمة التي تُهدده هي أزمة فناء وضياع، ولم يكن الشاعر الجاهلي ليتماهى مع كينونة الحمار الوحشي لولا تعلقه بإرادة القوة، يقول الشاعر أبو ذؤيب الهذلي:

**حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ * بِصَفَا المُشَرَّقِ كُلَّ يَوْمٍ تُقْرَعُ**
**وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمُ * أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لاَ أَتَضَعْضَعُ**
**وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا * وَإِذَا تُرُدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ**
**وَالدَّهْرُ لاَ يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ * جَوْنُ السَّرَاةِ لَهُ جَدَائِدُ أَرْبَعُ**
(...)
**فَرَمَى فَأَلْحَقَ صَاعِدِيًّا مِطْحَرَا * بِالكَشْحِ فَاشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الأَضْلُعُ**
**فَأَبَدَهُنَّ حُتُوفَهُنَّ فَهَارِبٌ * بِذَمَائِهِ أَوْ بَارِكٌ مُتَجَعْجِعٌ**[21]

إنّ وُرود **الجون والكشح** في سياق شعري موحد كانا مدعاةً لحضور الزّخم الرمزي المتعدد للحمار الوحشي ( الاحتراز من نوائب الدهر – التّعلق برمزية السّلام).

كثيرا ما يحرص السّياق الشعري العربي القديم على وصل العلاقة بين الحمار والأتان تعبيرا عن اللّذة المثالية التي لا يشوبها العهر، وذلك دليل على أصالة الحمار الوحشي وتحاشيه لمبدأ الغريزة الحيوانية، فهو يحرص أشدّ الحرص على نقاء جنسه، فهذا المبدأ المثالي الإنسانوي قلّ ما توفر في فصائل الحيوانات الأخرى، وهو المعوّل ذاته الذي جعل شعراء الجاهلية يهيمون دون انقطاع بالنّشوة العلوية الموطودة في الحمار الوحشي ( العلج).

يقول الشاعر متمم بن نويرة:

فَكَأَنَّهَا بَعْدَ الكَلاَلَةِ وَالسُّرَى * عِلْجٌ تُغَالِيهِ قَذُورٌ مُلْمِعٌ
يَحْتَازُهَا عَنْ جَحْشِهَا وَتَكُفُّهُ * عَنْ نَفْسِهِ، إِن اليَتِيمُ مُدَفَعِ
وَيَظَلُّ مُرْتَبِئًا عَلَيْهَا جَاذِلاً * فِي رَأْسِ مَرْقَبَةٍ وَلَأْيًا يَرْتَقِعْ
حَتَّى يُهِيجُهَا عَشِيَّةَ خُمْسِهَا * لِلْوَرْدِ جَأْبٌ خَلْفَهَا مُتَتَرِّعُ
يَعْدُو تُبَادِرُهُ المَخَارِمَ سَمْحَجٌ * كَالدَّلْوخَانِ رِشَاؤُهَا المُتَقَطِّعُ
حَتَى إِذَا وَرَدَا عُيُونًا فَوْقَهَا * غَابٌ طِوَالٌ نَابِتٌ وَمُصَرَّعُ
لاَقَى عَلَى جَنْبِ الشَّرِيعَةِ لاَ طِئًا * صَفْوَانَ فِي نَامُوسِهِ يَتَطَلَّعُ
فَرَمَى فَأَخْطَأَهَا وَصَادَفَ سَهْمُهُ * حَجَرًا فَغَلَّلَ، وَالنَّضِيُّ مُجَزَّعُ
أَهْوَى لِيَحْمِيَ فَرْجَهَا إِذَ أَدْبَرَتْ * زَجِلاً كَمَا يَحْمِي النَّجِيدُ المُشْرَعُ[23]

يُفيض الشاعر " في وصف حال الحمار الوحشي تفصيلا يطلعك على نوع ما يجري بقلبه من انفعالات الغيرة، والحرص على أنثاه، حرصا لا يُقاربه فيه إلا الإنسان"[24]

كذلك تتجلى التّجاذبات النّوعية في الشعر العربي القديم بين الحمار الوحشي والنّاقة باعتبارها حيوانا مقدسا منوطا به تخليص الشاعر من ورطة الجدب، يقول الشاعر متمم بن نويرة:

وَلَقَدْ قَطَعْتُ الوَصْلَ يَوْمَ خَلاَجِهِ * وَأَخُو الصَرِيمَةِ فِي الأُمُورِ المُزْمَعِ
بِمَجْدَةٍ عَنْسٍ كَأَنَّ سَرَاتَهَا * فَدْنٌ تَطِيفُ بِهِ النَّبِيطُ مَرْفَعُ
قَاظَتْ أَثَالَ إِلَى المَلاَ وَتَرَبَعَتْ * بِالحَزْنِ عَازِبَةً تَسِنُ وَتُودَعُ
حَتَّى إِذَا لَفِحَتْ وَعُولِي فَوْقَهَا * قَرَدٌ يَهُمُ بِهِ الغُرَابُ المُوقَعُ
قَرَّبْتُهَا لِلرَّحْلِ لَمَّا اِعْتَادَنِي * سَفَرٌ أَهَمَّ بِهِ وَأَمْرٌ مُجْمَعُ[24]

" فالشاعر يصور رحلة فوق ناقة كأنها حمار وحشي"[25] مما أدى بالنص إلى الاحتفاء بالثنائية التكميلية للحمار الوحشي والناقة رغبة في التنصل من اهتياجات اليأس ودفع شقاء العمر المتواري خلف نذير الشؤم ( الغراب).

يعمل الشعر العربي القديم على تقويض التّراكمات الدّلالية كلّما تهيأت لها فرصة التّشكل، وهذا ما أدى برمزية الحمار الوحشي إلى السّير وفق اتّجاه معاكس مثير للغرو، يقول الشاعر:

كَأَنِّي كَسَوْتُ الرَّحْلَ أَحْقَبَ قَارِبًا * لَهُ بِجَنُوبِ الشَّيْطَيْنِ مَسَاوِفُ
يُقَلِّبُ قَيْدُودًا كَأَنَّ سَرَاتَهَا * صَفَا مُدهُنٍ قَدْ زَحْلَفَتْهُ الزَحَالِفُ
(...)
إِذَا اِسْتَقْبَلَتْهُ الشَّمْسُ صَدَّ بِوَجْهِهِ * كَمَا صَدَّ عَنْ نَارِ المَهُولِ حَالِفُ[26]

يتحكم في مسار النّص الشعري نوعان من السّياقات الحركية، أو الممارسات التّأويلية المفتوحة تتمثل الأولي في استشراف الحمار الوحشي لمصيره الزائل والمندثر، حيث لم تستطع الشمس أن تحقق له دينامية الحياة كما اشتهاها، وهنا ندرك أن سرّ العلاقة بين الشمس والحمار الوحشي ظلت ملمحا غامضا، في حين تُطاوع الرؤيا الثانية دلالة الاستمرارية شريطة أن نفهم الإعراض والإدبار عن الشمس بمعنى الإقبال بطريقة مخاتلة ( لنار المهول)، وهنا تتجلى قدرة الحمار الوحشي في المصالحة والجمع بين الأضداد كي تستمر الحياة، فهو يسعى دائما إلى استثمار المواقف التي تُهدد زواله لصالحه.

أدرك الحمار الوحشي أنّ استمرار مائية الحياة وُعود كاذبة مرجأة على الدّوام، فإن كان الماء موردا لدينامية الحياة، فهو كذلك مصدر للفناء كونه خير مرصد لرماح الصيادين:

كَأَنِّي وَرِدْفِي وَالقِرَابَ وَنُمْرُقِي * عَلَى ظَهْرِ عَيْرٍ وَارِدِ الخَيَرَاتِ

أَرَنَّ عَلَى حُقَبٍ حِيَالٍ طَرُوقَةٍ * كَذَودِ الأَجِيرِ الأَرْبَعِ الأَشِرَاتِ
(...)
وَيَأْكُلْنَ بُهْمَى جَعْدَةٍ جَبْشِيَّةٍ * وَيَشْرَبْنَ بَرْدَ المَاءِ فِي السَّبَرْاتِ
فَأَوْرَدَهَا مَاءً قَلِيلَلاً أَنِيسُهُ * يُحَاذِرْنَ عَمْرًا صَاحِبَ القَتْرَاتِ[27]

تجلى الحمار الوحشي في شعر امرئ القيس حائرا من مصيره المُلزّ بمشاعر المتعة واللّذة في رعي أُتنه وهاجس الخطر الدائم المترقب من رماح الصيادين، وهذا ما جعل الحمار الوحشي مرتع الأسلوب الشعري.

4. **خاتمة**

تبين لنا بعد التّطارح والنّقاش جملة نتائج نوجزها عن كثب:

- تمثل رمزية الحمار الوحشي في الشّعر العربي القديم ظاهرةً متفردةً ظلّ الشعر يلهث خلفها دون الظفر بها، فهي تنتظر على الدّوام مبدعين ونقادا يرافقونها إلى اللا نهائي من التوظيفات والاستلهامات.

- كذلك اتضح لنا أنّ رمز الحمار الوحشي على قلة تواتره في الشعر العربي القديم لم يجد التّحصيف النّقدي الكافي والجاد المتوخى استثمار مخاضاته الدّلالية والجمالية.

- معظم الكتب والمصادر الشعرية التي تطرقت للحمار الوحشي لم تُنضح منبته الأسطوري، وهذا ما جعل الحمار الوحشي ظاهرةً غامضةً في الشعر العربي القديم تُحاصرها دفات التّاريخ الضيّقة؛ ولعلّ هذا المعوّل الأساس هو الذي جعل الحمار الوحشي يتواتر في الشعر المعاصر في صورة محتشمة لا تكاد تذكر.

- ولعلّ السبب الرئيسي في رحيل الحمار الوحشي من بنيات الشعر العربي القديم يرجع إلى عدم اهتمام الشعراء به آنذاك من حيث خصوصية الغرض – أي- في ذاته منه ومن أجله إليه، فكثيرا ما اتّخذ الشعراء الجاهليون الحمار الوحشي مطيةً لوصف النّاقة، الفرس، الخيل، رحلة الصيد...، وبالجملة تقول تواردَ الشعراء العرب القدماء الحمار الوحشي على كثرة توصيفاته ( أحقب، المحل، الجأب، الأحذري...) بعدّه مقدمةَ القصيدة، وعادة ما تكون المقدمة مدخلا عرضيا يتمّ تجاوزه حين مباشرة الغرض الرئيسي، وضمن هذا المقام النّقدي المتعلق برحيل أو تغييب الحمار الوحشي من الشعر نورد عدة دلائل:

1/ بما أنّ الشعرَ جنسٌ أدبيٌ سريعُ التّجدد والتّغير والتّطور فإنّ أول جزئية يعتريها التّحول هي مقدمة القصيدة ( الثورة على المقدمة الطللية على سبيل المثال).

2/ عجز الشعراء سيان القدماء أو المحدثين عن توظيف الحمار الوحشي كبؤرة دلالية تنطلق منها الأحداث لتعود إليها ( الذات والموضوع بعدّهما مركز تجميع البؤر الدّلالية) خاصة في ظلّ غياب المنابت الأسطورية للحمار الوحشي، فالمستطلع للشمس كإله لدى الشعوب والحضارات القديمة لا يجد صلةً واضحةً مبررةً بين الشمس والحمار الوحشي، وإن كان هذا الأخير يحبل بإرادة القوة فلم هو دون غيره من الحيوانات المتوحشة؟

- كما تأكّد لنا أيضا أنّ رمزية الحمار الوحشي تنعكس في عقلية الإنسان العربي القديم دون مواربة، من ذلك التّعلق بمائية الحياة ورغد العيش؛ التّلذذ بشبق الطبيعة حيث الشمس تنفخ في الحياة دينامية الطُمأنينة والاستقرار، فلطالما منحت الشمس الحمار الوحشي القدرة على البقاء والشعور بوابل الاستمرار.

**5.الإحالات:**

1 عبد الرحمان بن ناصر السعيد: الحمار الوحشي في الشعر العربي القديم الوصف والتعيين، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآدب، جامعة الملك سعود، 1932هـ، ص134.

2 عبد الله بن عبد العزيز إبراهيم الهدلق: ميراث الصّمت والملكوت، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، السعودية، 2010، ص137.

3 عباس مصطفى الصالحي: الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني هجري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1981، ص85/84/83.

4 كمال الدين مُحَمَّد بن موسى الدّميري: حياة الحيوان الكبرى، تح: أسعد الفارس، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 1992، ص40.

5 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6 علي البطل: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الأندلس،ط2، بيروت، لبنان، 1981، ص138.

7 تميم بن أبي مقبل: الديوان، تح: عزة حسن، دار الشرق العربي، ط2، حلب، سوريا، 1995، ص83.

8 عبدة بن الطيب: اللامية، تح: يحي الجبوري، دار التربية، بغداد، العراق، 1972، ص81.

9 حاجب بن حبيب الأسدي: الديوان، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1970، ص185.

10 علي البطل: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، ص144.

11 المرجع نفسه، ص14.

12 كعب بن زهير: الديوان، تح: علي فاعور، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997،ص66.

13 الأعشى: الديوان، تح: محمود إبراهيم مُحَمَّد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، ط2، الدوحة، قطر، 2010، ص46.

14 الشماخ بن ضرار الذبياني، الديوان، تح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر، (د-ت) ص246.

15 عبد الرحمان بن ناصر السعيد: الحمار الوحشي في الشعر العربي القديم الوصف والتعيين، ص161.

16 نوري حمودي القيسي: شعر الشمردل اليربوعي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد17، ج2، نوفمبر 1976، ص263.

17 نقلا عن عبد الرحمان بن ناصر السعيد: الحمار الوحشي في الشعر العربي القديم الوصف والتعيين، ص168.

18 حسن السندوبي: شرح ديوان إمرئ القيس، تح: أسامة صلاح الدين منيمنه، دار إحياء العلوم، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص142.

19 المفضل الضبي: المفصليات، المفضلية رقم: 39، تح: أحمد مُحَمَّد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف ، ط10، القاهرة، مصر، 1994، ص185.

20 ابتسام مرهون الصفار: مالك وممتم ابنا نويرة اليربوعي، مطبعة الإرشاد، بغداد، العراق، 1968، ص100.

21 أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، تح: أحمد خليل الشال، مركز الدّراسات والبحوث الإسلامية، ط1، بور سعيد، مصر، 2014، ص 50/49/ 53/52.

22 ابتسام مرهون الصفار: مالك وممتم ابنا نويرة اليربوعي، ص96/95.

23 كمال الدين مُحَمَّد بن موسى الدّميري: حياة الحيوان الكبرى، ص41.

24 بتسام مرهون الصفار: مالك وممتم ابنا نويرة اليربوعي، ص42.

25 علي البطل: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، ص141.

26 أوس بن حجر: الديوان، تح: مُحَمَّد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، 1980، ص69/67.

27حسن السندوبي: شرح ديوان إمرئ القيس، ص91.

**6. قائمة المراجع:**

1/ ابتسام مرهون الصفار: مالك وممتم ابنا نويرة اليربوعي، مطبعة الإرشاد، بغداد، العراق، 1968.

2/ أوس بن حجر: الديوان، تح: مُحَمَّد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، 1980.

3/ الأعشى: الديوان، تح: محمود إبراهيم مُحَمَّد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، ط2، الدوحة، قطر، 2010. 4/ تميم بن أبي مقبل: الديوان، تح: عزة حسن، دار الشرق العربي، ط2، حلب، سوريا، 1995.

5/ حاجب بن حبيب الأسدي: الديوان، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1970.

6/ حسن السندوبي: شرح ديوان إمرئ القيس، تح: أسامة صلاح الدين منيمنه، دار إحياء العلوم، ط1، بيروت، لبنان، 1990.

7/ أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، تح: أحمد خليل الشال، مركز الدّراسات والبحوث الإسلامية، ط1، بور سعيد، مصر، 2014.

8/ الشماخ بن ضرار الذبياني، الديوان، تح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر، (د-ت) .

9/عبد الرحمان بن ناصر السعيد: الحمار الوحشي في الشعر العربي القديم الوصف والتعيين، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآدب، جامعة الملك سعود، 1932هـ.

10/ عبد الله بن عبد العزيز إبراهيم الهدلق: ميراث الصمت والملكوت، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، السعودية، 2010.
11/ عباس مصطفى الصالحي: الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني هجري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1981.
12/علي البطل: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الأندلس،ط2، بيروت، لبنان، 1981.
13/عبدة بن الطيب: اللامية، تح: يحي الجبوري، دار التربية، بغداد، العراق، 1972.
14/كعب بن زهير: الديوان، دار مدبولي، ط2، مصر، 1978.
15/ كمال الدين مُحَمَّد بن موسى الدّميري: حياة الحيوان الكبرى، تح: أسعد الفارس، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 1992.
16/ المفضل الضبي: المفصليات، تح: أحمد مُحَمَّد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف ، ط10، رقم المفضلية 39، القاهرة، مصر، 1994.
17/ نوري حمودي القيسي: شعر الشمردل اليربوعي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد17، ج2، نوفمبر 1976.